

فصلنامه تحقیقات جدید علوم انسانی

Human Sciences Research Journal

دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۱۴۲-۱۲۹

New Period 4, No 28, 2020, P 129-142

ISSN (2476-7018)

شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸)

قراءة دلالية بمنطق تحليل الخطاب للفظه الوزر في سورة الانشراح

م.م. رباب موسى نعمة الصافي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

الملخص:

إنَّ سورة الانشراح نزلت بداعي تسكين نفس الرسول الأعظم وتبشيريه بأنَّ دعوته سوف تؤتي ثمارها، وأنَّ عليه الصبر والتحمل ؛ لأنَّ مآل الأمور بالمحصلة النهائية الى الخير، فمنطلق السورة كلها مبني على منطق تبشير الرسول وتهديته ووعدده بالظفر، بيد أنَّها اشتملت على بعض الألفاظ التي استند اليها المشككون في عصمة النبي الأكرم في تعضيد رأيهم، وإذا كانت دلالات الألفاظ في سياق الخطاب التكملي تعبر أحيانا عن دلالة ارتباطية التزامية تُفهم منها بالتضام، فإنَّ هذه الدلالات الاستيعابية يمكن أنَّ يؤسس عليها اتهام الرسول الأكرم بأنَّه مذنَّب وأنَّ الله تعالى قد دفع عنه وزره الذي حمَّله من جراء ما اقترف من ذنوب سالفه، ومهممة البحث في هذا المقام هي تنفيذ تلك الادعاءات بالاستناد إلى لغة النص نفسه، وما يحتمله من دلالات.



Abstract

The Surat Al-Anshraa is revealed by the reason of the Prophet's great self-indulgence and his proclamation that his vocation will bear fruit, and that he will have patience and endurance. The premise of the whole Sura is based on the logic of the Prophet's preaching and calming him and his promise of victory, but it included some words on which the skeptics relied on the infallibility of the noble Prophet in reinforcing their opinion. And if the semantics of words in the context of speech sometimes express the significance of associative commitment to understand them in harmony, so These serial indications can be based on accusing the noble Prophet of guilt and that God has paid him for his burden, which he carried out because of the sins of his predecessor. The task of research here is to refute those allegations based on the language of the text itself and its implications.

المقدمة

الحمد لله الذي قيض قلوب عباده لاستقبال فيض هداه، وألقى على بصائرهم من أنوار بيانه ما جلى لهم حقائق تنزله، وأفاض على عقولهم كلامه، فأشرقت لطائفه وغرائب، وأودع في أسفارهم من إعجاز الفهم ما يشهد بإعجاز النظم، والصلاة والسلام على خير من بعثهم إلى عباده أبي القاسم محمد وعلى آله الغر الميامين، أما بعد:

فلعله من دلائل الإعجاز أن يفيض القرآن من ندى فصاحته على الدراسات التي تتناول نظمه ما يجعلها أكثر ثراءً وخصوبة، ويشيع فيها من نور بيانه ما تبدو به أكثر تألقاً، وأهدى سبيلاً، ينحى هذا المسعى العلمي لاتخاذ النزعة التحليلية للخطاب وسيلة لاستظهار المكامن الدلالية المضمنة في دلالة لفظة الوزر وذلك تحديداً في سورة الانشراح؛ إذ تنطلق الباحثة من توظيف مقررات الفكر النحوي واسس الابداع البلاغي ونتائج البيان التفسيري ومعطيات المعنى المعجمي وكل ما يسهم في تحقيق بيان دلالة لفظة الوزر من قرينه سياقية او لمحة عقلية تستند الى منطق لغوي ثابت من اجل قراءة دلالة تلك اللفظة في سورة الانشراح قراءة تفصيلية واعية، عل ذلك يمكنها من الوقوف على الدلالة الاعجازية لها ليتسنى الإجابة على كثير من التساؤلات والتأملات تجاه هذه اللفظة.

دلالة لفظة (الوزر) في اللغة والاستعمال القرآني:

لقد وردت لفظة (الوزر) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^١، والمشار اليه بالوزر في القرآن الكريم، حال صاحب الذنب، وما يتحملة من عبء وثقل يرهقه ويؤذيه^٢.



أما المعنى المعجمي لهذه اللفظة فهو الدلالة على: ((الحمل الثقيل من الإثم وقد وزر وزر وهو وازر))^{١٢} وجاء في لسان العرب معنى (الوزر): ((والوزر الحمل الثقيل والوزر الذنب لثقله))^{١٣}، وقال ابن فارس: ((الواو والزاي والراء أصلان صحيحان أحدهما الملجأ والأخر الثقل في الشيء الأول الوزر الملجأ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾^{١٤}، والوزر حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله ولذلك سمي الذنب وزراً))^{١٥}، من هنا نفهم بأن معنى الوزر في اللغة هو الدلالة على الحمل الثقيل أصالة وقد تدل على الملجأ أيضاً، إذ ذكر الراغب في مفرداته قائلاً: ((الوزر: الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾^{١٦} والوزر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾^{١٧}). فمما تقدم يتضح لنا المعنى الحقيقي للفظ (الوزر) هو الحمل الثقيل وهذا المعنى يتناقض مع ما ذهب إليه المشككين في عصمة النبي {محمد} صل الله عليه وآله وسلم) ودليلهم على نفى العصمة عن النبي وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾^{١٨}؛ إذ ذهب جماعة من المفسرين^{١٩} إلى القول بأن النبي كانت لديه ذنوب في الجاهلية فقسم منهم عد هذه الذنوب من الصغائر والقسم الآخر عداها من الكبائر، فقد ذكرها الطبري (٣١٠هـ) بقوله: ((ووضعتنا عنك وزرك، يعني: الشرك الذي كان فيه، وغفر له ذنبه، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها))^{٢٠}

وجاء في تفسير معالم التنزيل ما نصه: ((وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، يعني الخطأ والسهو))^{٢١}

وقال النيسابوري في تفسيره لهذه الآية: ((الوزر الذي أنقض ظهره أي أثقله لما صدر عنه من بعض الصغائر قبل النبوة ولما جهله من الاحكام والشرائع))^{٢٢}

وما نلاحظه من الأقوال السابقة أن بعضهم يذهب إلى أن النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) كانت لديه ذنوب، وهذه الذنوب تنافي أن يكون معصوماً قبل البعثة، وفي الحقيقة أن الوزر في اللغة يعني الثقل، وسميت الذنوب أوزاراً؛ لأنها تثقل حاملها، وكل غم وهم ومسؤولية هو وزر في اللغة^{٢٣}.

ويؤكد الشيخ الطوسي عدم صحة تلك الأقوال، إذ يقول: ((لأن الأنبياء (عليهم السلام) لا يفعلون شيئاً من القبائح لا قبل النبوة ولا بعدها ولا صغيرة ولا كبيرة... فمعنى الآية هو أن الله تعالى لما بعث نبيه وأوحى إليه وانتشر أمره، وظهر حكمه كان ما كان من كفار قومه، وتتبعهم لأصحابه بأذاهم له، وتعرضهم إياهم، ما كان يغمه ويسوته ويضيق صدره ويثقل عليه، فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته وأظهر دعوته وقهر عدوه))^{٢٤}.

وذهب الشريف المرتضى في تفسيره للفظ (الوزر) إلى الدلالة اللغوية الأصل للفظ، وهي دلالة الثقل، إذ يرى بأن الذنوب أوزاراً لأنها تثقل صاحبها، فيكون على هذا الأساس كل شيء أثقل الإنسان وغمه وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذي هو الثقل الحقيقي، فلا يمتنع أن تكون دلالة الوزر في الآية المباركة إنما أراد بها غم النبي (صل الله عليه وآله وسلم) وهمه بما كان عليه قومه من الشرك وما كان هو واصحابه بينهم من الضعف والقهر^{٢٥}.



بهذا نجد أن الوزر الذي وضعه سبحانه وتعالى عن رسوله (عليه الصلاة والسلام) هو إزالة الهم والغم مما كان يتحمله من قومه أو دعوته اليهم للإيمان بالله ونبد عبادة الاصنام، فحينما بدأ بالدعوة الإسلامية لاقى من المعارضة والمضايقة والقتل والتشريد لبعض أصحابه، فالهم الذي كان يعتري الرسول نابع من شدة حزنه على قومه الكافرين لأنهم لم يدعوا إلى الإسلام ولم تلين قلوبهم لما هداهم إليه ولهذا كان همه كبيراً بداعي شركهم وكفرهم - وليس همه على أصحابه - ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٨) وايضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٩) فهمه ذلك كثيراً وغمه الأمر لوجود المعارضة القوية وضعف أصحابه، فطمأنه الله عزوجل وشرح صدره من بعد هذا الثقل وهذا الوزر الكبير الذي أهمه، ووضع ما كان عنه من هم وغم بأن يعلى كلمته وينشر دعوته ويهدى قومه، وما عليه سوى الدعوة ونشر الإسلام والصبر على ذلك وأن النتيجة هي النصر له ولدعوته العظيمة، وبذلك أزال عنه سبحانه وتعالى ذلك الهم الذي أثقل ظهره، لأن نقض الظاهر هو الثقل والحمل كما جاء في معجمات اللغة.

والذي يقوى ما قلناه الآيات التالية لهذه الآية من السورة، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١٠) وهذه طمأنينة للرسول (صل الله عليه وآله وسلم) وبشارة له بعلو شأنه وانتصار دعوته، وبقاء ذكره سامياً عالياً في السماء والأرض، فكيف لا ينشرح بذلك صدره، ويذول همه وغمه؟ ويؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١١) وهي تحكي حالة النبي (صل الله عليه وآله وسلم) وحالة أصحابه في وقت العسرة وشدة المعارضة وليس أعسر وأصعب مما كانوا عليه في بدء الدعوة؛ إذ وصل الأمر بقومه إلى أذيته (صل الله عليه وآله وسلم) بوصفه بالجنون والسحر، وبعد كل هذا العسر وعده الله باليسر والنصر وسيادة دعوته (صل الله عليه وآله وسلم) وإزالة كل هذه الهموم والغموم عنه (صل الله عليه وآله وسلم).

ومما يمكن الإشارة إليه هو أن لفظة (الوزر) ليس بالضرورة أن تدل على معنى الذنب؛ إذ يمكن أن ترد من خلال القرائن السياقية دالة على المعنى المعجمي لها؛ لأن ((كل شيء أثقل الإنسان وغمه وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذي هو الثقل الحقيقي))^(١٢) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(١٣) (أوزار الحرب) في النص القرآني هي ((أثقالها وأحمالها، يعنى حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب، وأصل ((الوزر ما يُحتمل الإنسان فسمى الأسلحة أوزاراً؛ لأنها تُحمل))^(١٤) وبهذا فإن ((ليس يمتنع أن يكون الوزر في الآية إنما أراد به غمه (صل الله عليه وآله وسلم) وهمه بما كان عليه قومه من الشرك))^(١٥)

لهذا فقد كان الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) ((مستوحشاً من ضلال الناس معاتباً لأعباء هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر منتظراً لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة، حتى شرح الله صدره ويسر أمره وفتح له باب الهدى والرحمة بالوحي، ووضع عنه أوزار الهم والعناء بالبعثة والرسالة بالدعوة إلى الحق))^(١٦)



وما يمكننا أن نستدل به توثيقاً على أن معنى الزر في النص القرآني يدل على معنى الهم وحمل الثقل، هي الآية التي قبل آية الزر وهي قوله تعالى: ﴿لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٢٧) وقوله تعالى بعد آية الزر ﴿ثُمَّ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٢٨) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(٢٩) فالذي نلاحظه في النصوص القرآنية أن المقصود بلفظة الزر هو الهم وحمل الثقل الذي كان يعاني منه الرسول الكريم قبل البعثة بدلالة ((الاستفهام التقريرى الوارد في قوله تعالى: (لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وهذا الاستفهام يرد كثيراً في القرآن، ويقدر الفعل بفعل ماضٍ مقروناً بقد، ففي قوله ﴿لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قد يقدر بأن المعنى قد شرحنا لك صدرك، وهذا الشرح شرحاً معنوياً ليس شرح حسي، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله عز وجل بنوعيه الشرعى والقدرى))^(٣٠)

إذن شرح الصدر يعنى توسعته وتهيته لأحكام الله الشرعية والقدرية، ونبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) له الحظ الاوفر من ذلك، فهو أتقى الناس لله، وأشدهم قياماً بطاعة الله وأكثرهم صبراً على أقدار الله، لهذا نجد الأنبياء أكثر الناس بلاء.

وما نلاحظه في الآية ﴿لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أن الفعل المضارع (نشرح) منفى والفعل المنفى إذا دخل عليه استفهام كان هذا الاستفهام للتقرير والمقصود به في هذه الآية هو التذكير - أى تذكير الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) - بنعم الله عليه وحتى يداوم على شكره تعالى، فصار المعنى: ((قد شرحنا لك صدرك، وإنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم والادراكات، والمراد الامتنان عليه (صل الله عليه وآله وسلم) بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة))^(٣١)

واللام في قوله (لك) لام التعليل، وهي تفيد التكريم لنفسى النبي (صل الله عليه وآله وسلم) بأن الله فعل ذلك لأجله، وفي ذكر الجار والمجرور قبل ذكر المشروح سلوك طريقة الإبهام للتشويق فإنه لما ذكر فعل نشرح علم السامع أنه ثم مشروحاً، فلما وقع قوله (لك) قوى الإبهام فازداد التشويق، لأن (لك) تفيد معنى شيئاً لأجلك فلما وقع بعده قوله (صدرك) تعين المشروح المتروك فتتمكن في الذهن كمال التمكن^(٣٢) وتوسط (لك) بين الفعل والمفعول دلالة على أن الشرح من منافع النبي (صل الله عليه وآله وسلم) ومصالحه، مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه وتشويقاً إلى ما يعقبه، ليتمكن عنده وقت وروده فضل التمكن^(٣٣)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾^(٣٤) ((عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخير عنه ذلك لتعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر))^(٣٥)

يقول محمد الأمين: ((والوضع يكون للحط والتخفيف، ويكون للحمل الثقيل، فإن عُدَى بعن كان للحط، وإن عُدَى بعلى كان للحمل، في قولهم: وضعتُ عنك، ووضعتُ عليك، والزر لغة الثقل))^(٣٦)



ويقول القرطبي: ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ))، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل، لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك، فدل هذا على أن المعنى ألم نشرح: قد شرحنا. ولم جحد، وفي الاستفهام طرف من الجحد، وإذا وقع الجحد رجع الى التحقيق، كقوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)^(٣٤) ومعناه: الله أحكم الحاكمين^(٣٥)

ولفظه (انقض) في قوله تعالى: (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)^(٣٦) في الاستعمال اللغوي والقرآني تدل على الحل والانتثار، والتمزق تحت ضغط ثقيل ومعاناة^(٣٧) وذهب المفسرون في تأويلها مذاهب شتى، ومنهم الطبري، إذ قال: ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ))، أي وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، وحللنا عنك وقررك الذي أثقل ظهرك فأوهنه^(٣٨)

وقال أبو حيان هي: ((كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس، عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك))^(٣٩) وعليه فإن ((الكلام على التمثيل، فإن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الاهتمام بشأن قومه، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقلاً حسيّاً ينقض منه الظهر، ولكن كان همّاً نفسياً يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي الممثل به، فعبر عن الهم الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهور))^(٤٠) ودلالة هذه اللفظة على أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تنقل الظهر من القيام بأمرها سهل الله تعالى ذلك على نبيه حتى تيسرت له^(٤١)

ورفع الذكر: جعل ذكره بين الناس بصفات الكمال، وذلك بما نزل من القرآن ثناء عليه وكرامة، وبإلهام الناس التحدث بما جله الله عليه من المحامد منذ نشأته، وعطف (ووضعنا ورفعنا) بصيغة الماضي على الفعل (نشرح) بصيغة المضارع لأن (لم) قلبت زمن الحال الى الماضي فعطف عليه الفعلان بصيغة الماضي لأنهما داخلان في حيز التقرير فلما لم يقرن بهما الحرف (لم) صير بهما الى ما تفيد (لم) من معنى الماضي. فالآية تشير الى أحوال النبي (صل الله عليه وآله وسلم) التي كان في حرج منها أو من شأنه أن يكون في حرج، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هياً نفسه لعدم النوء بها، وكان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) يعلمها كما أشعر به إجمالها في الاستفهام التقريرى المقتضى علم المقر بما قرر عليه، ومن عظيم رفع ذكره أنه اسمه (صل الله عليه وآله وسلم) مقترن باسم الله تعالى في كلمة الإسلام وهي كلمة الشهادة.

وجاء في فتح القدير ما نصه: ((ثم ذكر سبحانه عليه وكرامته فقال: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))، وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه (صل الله عليه وآله وسلم) ورفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا منشد ولا صاحب صلاة إلا ينادى فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وقيل المعنى: ذكرناك في الكتب المنزلة على قبلك، أمرناهم بالبشارة بك، ورفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الأرض، والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور، فكل واحد منها أسباب رفع الذكر، وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل أن من صلى عليه واحدة صلى عليه بها عشراً، وأمر الله بطاعته كقوله تعالى: (جُئِلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)^(٤٢) وقوله تعالى: (جُئِلْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^(٤٣) وغير ذلك))^(٤٤)



ومما يلاحظ أن لفظه (الذكر) أكثر ما تضاف الى اسمه تعالى ظاهراً كان أو الى ضميره جل شأنه، وجاء الذكر معرفاً بال، بمعنى الوحي أو القرآن الكريم في بعض السور^(٤٤)، وهذا مما يُضفى على كلمه (الذكر) جلالة ورفعه، لكثرة ما تقترب بذات الجلالة، أو تضاف الى ضميره جل شأنه، أو يقصد بها القرآن والوحي^(٤٥) وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(٤٦) إشارة الى أن الذي منحه، صلوات الله عليه، من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر بعد ضيق الامر واستحكام حلقات الكرب، ولهذا وصل العبارة بالفاء التي لبيان السبب، و(ال) في (العسر) للاستغراق ولكنه استغراق بالمعهود عند المخاطبين من افراده أو انواعه، فهو العسر الذي يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو، وقلة الوسائل الى المطلوب، فهذه الأنواع من العسر مهما اشتدت وكانت النفس حريصة على الخروج منها طالبة لكشف شدتها، وقد كان هذا حال النبي (صل الله عليه وآله وسلم) فإن ضيق الامر عليه كان يحمله على التفكير والنظر حتى آتاه الله ما هو أكبر من ذلك وهو الوحي والنبوة^(٤٧)، وعليه فأن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كاشفاً وموضحاً لدلالة (وزرك) ومثبته بأن المراد من الوزر هو الثقل بالهم.

وهكذا كان تدبير الله سبحانه وتعالى مع النبي الكريم، بدأ أمره بالعسر والضيق، ثم كانت عاقبة أمره الى اليسر والسعة، كما يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٤٨) فالأمور بخواتيمها، فالآياتان تقرران ما سبق بيانه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر.

وقد رجحت بنت الشاطئ أن(ال) في العسر للعهد لا للاستغراق، والمراد والله اعلم، ما كان الرسول يشعر به من ضيق الصدر وثقل العبئ في مواجهة الوثنية العاتية الراسخة، وأما تنكير يُسر، فلكى ينفسح فيه مجال التصور والاطلاق فيحتمل ما قاله المفسرون وما لم يقولوه، إذ التحديد هنا بكذا أو كيت من مفهوم اليسر، ينافي البيان القرآني الذي أثر اطلاق (يسر) بغير قيد ولا حد^(٤٩)

من هنا نقول إن المقصود في قوله تعالى: (وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ) ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾^(٥٠) هو عناية الله تعالى برسوله (صل الله عليه وآله وسلم) بلطف الله وإزالة الغم والحرَج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره ليُنفس عنه، فالآية تشير الى أحوال كان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) في حرج منها، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هياً نفسه لعدم النوء بها.

وكان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) يعلمها كما أشعر به إجمالها في الاستفهام التقريرى المقترضى علم المقرر بما قرر عليه، فقد كان في حرج من كونه بينهم – أى قومه – ولا يستطيع صرفهم عما هم فيه ولم يكن يترقب طريقاً لأن يهديهم أو لم يصل الى معرفته كنه الحق الذي يجب أن يكون قومه عليه ولم يطمع إلاً في خصوصه نفسه يود أن يجد لنفسه قيس نور يضيء له سبيل الحق مما كان باعثاً له على التفكير والخلو والالتجاء الى الله، فكان يحث في غار حراء فلما انتشله الله من تلك الوحلة بما أكرمه به من الوحي كان ذلك شراحاً مما كان يضيق به صدره يومئذ، فانجلي له النور، وأمر بإنقاذ قومه فقابلوا إرشاده بالإعراض وملاطفته لهم بالامتناع، حدث في صدره ضيق آخر، وقد وعده الله بأنه كلما عرض له عسرٌ فسيجد من

أمره يُسرّاً فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب الى الله عونه، فالسورة كلها مقصورة على بيّات كرامته النبي (صل الله عليه وآله وسلم) عند ربه تعالى.

من هنا لا مجال لمن يقول بأن قوله تعالى: **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾** چ يقصد بها الذنب، ذلك بأن سياق السورة بكامله لا يحتمل هذا المعنى ؛ بل يناقضه وينافيه، فالرسول الكريم نزيه كل النزاهة عما نسب اليه ذلك لان قوله تعالى: **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾** چ هو خطاب للهي للرسول (صل الله عليه واله وسلم) للعناية به ولطف الله به وللتخفيف عنه، وذلك عن طريق تذكرة بنعمة الله تعالى عليه تلك النعمة التي يتجلى فيها مضمون مساندة الله تعالى للرسول الكريم، فقد رفع الله سبحانه وتعالى عنه هم قومه نعمة وكرامة له وسند وقوة له، فالله سبحانه وتعالى ناصره الان وغداً لا محالة فلا يحزن لان النصر والظفر له مطلقاً.

الخاتمة:

إلى الله تعالى أتوجه بأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من أراد إن يتزود من بلاغة الأسلوب القرآن، ولا سيما أن من علوم القرآن معرفة إعجازه، وقد رجوت وأملت أن يضيف بحثي هذا عملاً جديداً جيداً إلى ميدان الدراسات القرآنية، وها أنا ذا أجمل بإيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها

هذه الدراسة:

١. توصل البحث الى أن السياق (مقامياً أو مقالياً) هو من أهم العوامل التي تعين على قراءة النصوص المشكك بها قراءة دقيقة صحيحة.
٢. اتضح أن الموسوعة المعجمية بما تشتمل عليه من دلالات متعددة للمفردات اللغوية أسهمت اسهاماً فاعلاً في إفادة القارئ وتزويده بالدلالة المناسبة التي يتطلبها سياق الحديث كما لاحظنا ذلك في لفظة (وزرك) لما تحمله من دالة على ثقل الحمل وليس فقط الذنب الثقيل وهي دالة قارة ومعروفة في المعجم العربي.
٣. أدى اقتران أداة الاستفهام (الهزمة) بأداة النفي (لم) الى الانحراف بالأسلوب الإنشائي دلالياً إلى أسلوب خبري مانحاً السياق سمة التقريرية (الإثبات) لتوجيه الدلالة العامة للسياق بقوة أكبر، ذلك بأن تسييق الحدث بوساطة الإنشاء أقوى دلاليّاً من التعبير الخبرى المباشر.
٤. توصل البحث الى إن المقصود فى قوله تعالى:(ه هـ هـ ح هو عناية الله تعالى برسوله (صل الله عليه وآله وسلم) بلطف الله وإزالة الغم والحرص عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لئِنفس عنه، فالآية تشير الى أحوال كان النبي (صل الله عليه وآله وسلم) فى حرج منها، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هيأ نفسه لعدم الندوء بها.
٥. أدى ورود (لم) من دون (ما) الى الانحراف دلالياً بزمنية السياق الى الماضى هذا من جهة، وتحقيق تقرير الحدث على سبيل التجدد والاستمرار بدخولها على المضارع من جهة أخرى، وبهذا تكون صفة الشرح صفة دائمة لصدر الرسول(صل الله عليه وآله وسلم).



الهوامش:

- (١) سورة الانعام: الآية (١٦٤).
- (٢) ينظر معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: ٤٥.
- (٣) معجم العين: مادة (وزر) / ٣٨٠، وينظر المعجم الوسيط: مادة (وزر) / ٢ / ١٠٢٨.
- (٤) لسان العرب: مادة (وزر) / ٥ / ٢٨٢، وينظر تاج العروس: مادة (وزر) / ١٤ / ٣٥٩، ومختار الصحاح: ١ / ٢٩٩.
- (٥) سورة القيامة: الآية (١١).
- (٦) مقاييس اللغة: ١٠٨ / ٦.
- (٧) سورة القيامة: الآية (١١).
- (٨) سورة النحل: الآية (٢٥).
- (٩) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٤ - ٥٤٥.
- (١٠) سورة الشرح: الآية (٢).
- (١١) ينظر جامع البيان: ٢٤ / ٤٩٣، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ٩٧، وتفسير النيسابوري: ٧ / ٣٥٩، وفتح القدير: ٨ / ٢٠، ومعالم التنزيل: ٨ / ٤٦٣، ومفاتيح الغيب: ٦ / ٢٦٤، و ١٧ / ٨٩، والسراج المنير: ١ / ٥٢٣٤، المحرر الوجيز: ١ / ١١٢٨، وتأويل مشكل القرآن: ١٧٦.
- (١٢) جامع البيان: ٢٤ / ٤٩٣.
- (١٣) معالم التنزيل: ٨ / ٤٦٣.
- (١٤) تفسير النيسابوري: ٧ / ٣٥٩.
- (١٥) ينظر تاج العروس: ١٤ / ٣٥٩، ومختار الصحاح: ١ / ٢٩٩.
- (١٦) التبيان: ١٠ / ٣٥٧، وينظر مجمع البيان: ١٠ / ٤٥، وتفسير الميزان: ٢٠ / ١٧٦، الأمل: ٢٠ / ٢٩٥، والبحر المحيط: ١٠ / ٤٩٦، والتفسير البياني للقرآن الكريم: ١ / ٦٦.
- (١٧) ينظر تنزيه الأنبياء: ١٣٣، وحقائق التأويل: ٣ / ٤٦٧.
- (١٨) سورة الكهف: الآية (٦).
- (١٩) سورة آل عمران: من الآية (١٧٦).
- (٢٠) سورة الشرح: الآية (٤).
- (٢١) سورة الشرح: الآية (٥).



- (٢٢) تنزيه الأنبياء: ١٣٣.
- (٢٣) سورة محمد: الآية (٢).
- (٢٤) معالم التنزيل: ٢٧٨ / ١.
- (٢٥) تنزيه الأنبياء: ١٣٣.
- (٢٦) الهدى الى دين المصطفى: ١ / ١٩٧، وينظر الكاشف: ٨١ / ٧.
- (٢٧) سورة الشرح: الآية (١).
- (٢٨) سورة الشرح: الآية (٤-٦).
- (٢٩) تفسير جزء (عم): ١ / ٢٤١، وينظر البحر المحيط: ٤٩٩ / ١٠، وفتح البيان: ٢٨٩ / ١٥، التفسير الوسيط: ٤٣٦ / ١٥، وفتح القدير: ٥ / ٥٦٢، وأضواء البيان: ٧٢ / ٨، والتحرير والتنوير: ٤٠٨ / ٣٠، والتفسير القرآني للقرآن: ١٦ / ١٦٠٥، واعراب القرآن وبيانه: ١٠ / ٥١٥.
- (٣٠) فتح القدير: ٥ / ٥٦٢.
- (٣١) ينظر البحر المديد: ٧ / ٣٢١، والتفسير الوسيط: ٤٢٧ / ١٥، والتحرير والتنوير: ٣٠ / ٤٠٩.
- (٣٢) ينظر البحر المديد: ٧ / ٣١٢.
- (٣٣) أرشاد العقل السليم: ٩ / ١٧٢، وينظر الكشاف: ٧٧٥ / ٤، التفسير القرآني للقرآن: ١٦ / ١٦٠٥، والبحر المديد: ٧ / ٣٢٢، وروح البيان: ١٠ / ٤٦٣، واعراب القرآن وبيانه: ١٠ / ٥١٦، وفتح البيان: ١٥ / ٢٩٠.
- (٣٤) أضواء البيان: ٨ / ٥٧٥، وينظر التفسير الوسيط: ٤٣٧ / ١٥، ومحاسن التأويل: ٩ / ٤٩٤.
- (٣٥) سورة التين: الآية (٨).
- (٣٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ١٠٥.
- (٣٧) سورة الشرح: الآية (٣).
- (٣٨) ينظر التفسير البياني: ١ / ٦٥.
- (٣٩) جامع البيان: ٢٤ / ٤٩٣.
- (٤٠) البحر المحيط: ١٠ / ٥٠٠.
- (٤١) تفسير جزء عم: سورة الشرح، وينظر التفسير البياني: ١ / ١٦.
- (٤٢) ينظر فتح البيان: ١٥ / ٢٩١.



(٤٣) سورة النور: الآية (٥٤).

(٤٤) سورة الحشر: الآية (٧).

(٤٥) فتح القدير: ٥/ ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٤٦) ينظر سورة الحجر الآيات (٦-٩) وسورة القمر الآية (٢٥) وسورة فصلت الآية (٤١) وسورة النحل الآية (٤٤) وسورة الفرقان

الآية (١٨)

(٤٧) ينظر التفسير البياني: ١/ ٦٧ - ٦٨.

(٤٨) سورة الشرح: الآيتان (٥-٦).

(٤٩) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ٥٢٣، ومحاسن التأويل: ٩/ ٤٩٦ - ٤٩٧.

(٥٠) سورة الضحى: الآية (٤).

(٥١) التفسير البياني: ١/ ٧١.



المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

١. الاصفهاني: ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: هيثم طعيمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٢. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
٣. البلاغي: محمد جواد البلاغي (١٣٢٨هـ): الهدى الى دين المصطفى، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤. أبو حيان الاندلسي: محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ): البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد والدكتور احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٥. الخطيب: عبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ): التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، د. ت. د. ط.
٦. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (٦٠٦هـ): التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٧. الرازي: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الجديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د. ت.
٩. الزمخشري: ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٠. أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، مطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ت.
١١. الشافعي: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٩٧٧هـ): السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة ١٢٨٥هـ
١٢. الشريف الرضي (٤٠٦هـ): حقائق التأويل في مشابه التنزيل، تحقيق: محمد الرضا آل كاشف الغطاء، دار الاضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٣. الشريف المرتضى: ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ): تنزيه الانبياء: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعته في النجف، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



١٤. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ): فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
١٥. الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ): اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، د. ط.
١٦. الشيرازي: ناصر مكارم الشيرازي: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
١٧. الطباطبائي: محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين - قم المقدسة، د. ت، د. ط.
١٨. الطبرسي: أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ ق - ١٣٣٩ هـ ش.
١٩. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. الطنطاوي: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
٢١. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم - مكتبة الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ.
٢٢. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): التفسير البياني للقرآن الكريم، دار العارف، د. ط، د. ت.
٢٣. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ م، د. ط.
٢٤. العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ): تفسير جزء عم، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٥. ابن عجيبة: احمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي (١٨٠٨هـ): البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٦. ابن عطية الاندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤١هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٧. ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي القزويني (٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٨. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن خليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ): معجم العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة - إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.



٢٩. القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
٣٠. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد احمد الصقر، دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، د. ط.
٣١. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ): الجامع لاحكام القرآن، صححه: احمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
٣٢. القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٣٣. محمد محمد داوود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة - مصر ٢٠٠٨م، د. ط.
٣٤. محي الدين درويش: اعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٥. مغنية: محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ): الكاشف، مطبعة دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.
٣٦. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ): لسان العرب، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، د. ت.
٣٧. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.